الفصل الثالث
التفوق العقلي

أختلف الباحثون في تحديد معنى التفوق العقلي ، ومن ثم أختلفت الوسائل التي ينادون بأستخدامها في تشخيصه . فمن العلماء من يعرف التفوق العقلي في ضوء نسب الذكاء مثل **لويس تيرمان** (1921) الذي اجرى أولى الدراسات الطولية المنظمة في هذا المجال والتي أستمرت 35 عاماً فيعرف الطفل المتفوق عقلياً بأنه من تجاوزت نسبة ذكائه 135 إذا طبق عليه مقياس ستنافورد بنيه . في حين اختارت **هولنجورث** (1926) نسبة ذكاء 130 كحد أدنى للتفوق العقلي في اختيار العينة للدراسة التي قامت بها . ويؤكد بالدوين أن معامل الذكاء ينبغى أن لا يقل عن 130 نقطة على اختبار ستنافورد بينيه. أما **دنلاب** فهو يرى أن هذا فيه بعض المبالغة واقترح الاكتفاء بذكاء قدره + 120 نقطة كحد أدنى لتحديد التفوق العقلي.
والمختصين في معظم المدارس وكذلك في مجال البحث غالباً ما يعتمدون على أختبارات الذكاء عند تحديد الاطفال المتفوقين يعود ذلك الى:
1. ندرة أدوات القياس التي يمكن ان تحل محل مقاييس الذكاء هذه مما دفع المختصين للبحث عن وجوه أخرى للذكاء مثل الابداع.
2. أختبارات الذكاء تعزل أنواع كثيرة ومختلفة من القدرات ، فالفرد يجب ان يظهر قدرة كبيرة في مجالات متنوعة او كبيرة جدا في مجالات محددة ضمن هذه الاختبارات.

في حين يرى بعض علماء النفس ورجال التربية الخاصة أن تعريف التفوق العقلي في ضوء نسبة ذكاء معينة أمر به تبسيط بحقيقة الوضع لأن مقاييس الذكاء لايكفي الأعتماد عليها وحدها كوسيلة للتعرف على المتفوقين عقلياً، للأسباب الأتية :
1. أن مقاييس الذكاء لاتعطي صورة شاملة عن المستوى الوظيفي العقلي للفرد، فقد أوضحت الدراسات التي أتبعت أسلوب التحليل العاملي أن هذه المقاييس لاتقيس سوى عدد قليل من القدرات العقلية ، ومن هذه الدراسات دراسة جونز التي أوضحت أن مقياس ستنافورد بنيه مشبع بالعوامل العشرة الأتية : ثلاث عوامل لفظية – عاملان للتذكر – عامل مكاني – عامل أستدلال منطقي –عامل غلق – عامل أدراك مكاني وعامل اخر سُمي بعامل الحرص . وذلك في الوقت الذي تنادي فيه دراسة جيلفورد بوجود 65 عاملاً وتتوقع أن يصل هذا العد الى 120 عاملاً . كما أوضحت الدراسات أن المقاييس الذكاء المختلفة مشبعة بعوامل تختلف من مقياس الى اخر، بمعنى أن هذه المقاييس تقيس قدرات مختلفة. وهنالك عدد من الدراسات التي أثارت لدينا الشك في قيمة الذكاء كمعبر عن المستوى الوظيفي العقلي للفرد ، مثل دراسة **جتزلس وجاكسون** عندما قارنا المستوى التحصيلي لمجموعتين من التلاميذ كان متوسط نسبة ذكاء المجموعة الأولى منهما 127 بينما كان متوسط نسبة ذكاء المجموعة الثانية 150 ، ولم تكن هناك فروق تذكر بين المجموعتين في العوامل الثقافية والأقتصادية والأجتماعية والأنفعالية , ووجدوا أن مستوى التحصيل للمجموعتين متقارب أي أنه لم تكن هتاك فروق ذات دلالة أحصائية بين مستوى تحصيل المجموعة الأقل ذكاء ومستوى تحصيل المجموعة الأخرى الأكثر ذكاء. وهذه النتائج تظهر وجود عوامل عقلية أخرى غير الذكاء تؤثر في النشاط العقلي للفرد ، بمعنى اخر فما يسمى بالذكاء الذي نقيسه لايعطي صورة كاملة عن المستوى الوظيفي العقلي للفرد. ونتائج هذه الدراسة قد دعمتها نتائج دراسات اخرى مثل دراسة تورانس ودراسة ياما ماتو ودراسات نيوفلد ، ثبوت وجود عوامل عقلية تؤثر في مستوى تحصيل التلميذ تختلف عنا أسميناه بالذكاء ومن هذه العوامل الطلاقة والأصالة والمرونة وهي عوامل التفكير الأبتكاري . وهذا ماجعل تورانس يقول بأن تعريفنا للتفوق العقلي في ضوء نسب الذكاء سوف يجعلنا نفقد حوالي 70% من الأطفال الذين يتميزون بقدرة فائقة على التفكير الأبتكاري .
2. أن المشكلة الثانية التي نواجهها في أستخدام أختبارات الذكاء هي تحديد نسبة القطع التي يعتبر فيها الفرد متفوقاً عقلياً لأن المشكلة في الأساس هي ملازمة لتحديد نقطة القطع التي تميز الأفراد الأذكياء عن غيرهم ،

الأ أن العديد من المختصين أستخدموا أي نقطة من نسبة الذكاء التي تقع بين 115-180 كخط فاصل بين المتفوقين وغيرهم . فاشار كل من **كلوس وجونسن** 1968 الى التباين بين المعنيين في تحديد نقطة القطع التي تميز المتفوقين عن غيرهم من خلال دراستهما المسحية في الولايات المتحدة ل 159 مدرسة ، فوجدوا أن 7% من هذه المدارس تعتبر الأفراد الذين يحصلون على نسبة ذكاء 114 متفوقين عقلياً و75% من المدارس أعتمدت نسبة ذكاء بين 114-119 وفي منطقة تعليمية اخرى شملتهل هذه الدراسة أعتمدت نسبة ذكاء 140 فما فوق كنقطة قطع لتمييزالأفرد المتفوقين .

3. أن هذه المقاييس لاتقيس الذكاء وحده بل تتأثر أستجابات الفرد بالخبرات التي مر بها ، فلا نستطيع أن ننادي بأن هذه المقاييس تقيس الذكاء إلا إذا سلمنا بأن الأطفال الذين تطبق عليهم قد مروا بنفس الخبرات وتعرضوا لنفس العوامل الثقافية . وهذا ما يدعوا الى التحذير من أستخدام مقياس ذكاء وضع في ثقافة معينة على أطفال تختلف ظروفهم الثقافية ، وذلك لأن أختلاف الثقافات يؤثر الى حد كبير في نتائج الأختبارات.

ونظراً لهذه الصعوبات أتخذ علماء النفس مستوى التحصيل الذي يصل اليه الطفل وسيلة لتشخيص التفوق العقلي ، فنجد **باسو** يعرف التفوق العقلي بأنه القدرة على الأمتياز في التحصيل،أما **الجمعية الوطنية لدراسة التربية بأمريكا** فتعرف الشخص المتفوق بأنه من أستطاع ان يحصل بأستمرار تحصيلاً مرموقاً أو فائقاً في أي مجال من المجالات التي تقدرها الجماعة.

والأعتماد على مستوى التحصيل كوسيلة لتشخيص التفوق العقلي أمر له وجاهته، إذا أخذنا في الأعتبار أن ما نعنيه بالتحصيل ليس قاصراً على التحصيل الدراسي او الأكاديمي ، فالطفل الذي استطاع أن يصل الى مستوى عال في مجال أدبي أو فني أو أجتماعي يعتبر متفوقاً .كما أن الطفل الذي تتوافر لديه أستعددات خاصة جعلته يصل الى مستوى مرتفع في الرياضيات أو العلوم يعتبر متفوقاً حتى أذا لم يصل الى مستوى تحصيلي مرتفع في بقية المواد الأكاديمية ،لأن محك التفوق هو الأمتياز في التحصيل في اي ميدان من الميادين التي تقدرها الجماعة وتشجعها ، وأن يكون هذا الأمتياز مستمراً. ولاشك أن تحصيل الفرد في الماضي والحاضر من أكثر الوسائل صدقاً في التنبؤبتحصيله مستقبلاً وذلك أذا لم تتدخل عوامل جديدة تؤثر في عملية التحصيل.

ولكن على الرغم من أن هناك من يؤيدون التحصيل الدراسى كمحك فعال للتعرف على الموهوبين والمتفوقين إلا أنه وحده غير كاف أو دقيق لإعطاء مفهوم شامل للموهبة والتفوق. فهناك العديد من المآخذ والسلبيات التى تحد من قيمة هذا المحك،ومن بينها :

1. إن التحصيل الدراسى يركز على الحفظ والاستظهار والاستيعاب للمعلومات، ولذلك فإنه لا يقيس إلا جانب القدرة على التذكر والاستظهار واسترجاع المعلومات.
2. إن وسيلة التقويم للتحصيل الدراسى هى الامتحانات ، وهى منخفضة أو منعدمة الصدق والثبات لارتباطها بتقدير المعلم الذى يمكن أن يتفاوت من معلم إلى آخر كما أن عامل الصدفة يمكن أن يلعب دوراً مهماً فى حصول التلميذ على درجة عالية أو منخفضة .
3. إن التحصيل الدراسى مبنى على المنهج المدرسى المصمم حسب مستوى غالبية التلاميذ وهم العاديون ، ولذلك لا يجد كثير من الموهوبين والمتفوقين فيه تحدياً لقدراتهم ومواهبهم فيؤثر ذلك على دافعيتهم ويخفض من مستوى أدائهم ، فلا يحققون تفوقاً فى التحصيل الدراسى .
4. إن هناك عوامل ترتبط بشخصية التلميذ ووضعه الأسرى ، والاجتماعى والاقتصادى قد تؤثر على مستوى تحصيله رغم أنه يملك الاستعدادات والقدرات التى تجعله ضمن الموهوبين والمتفوقين.

وقد يبدو أن الوسيلة الناجحة لتشخيص التفوق العقلي هي الجمع بين مقاييس الذكاء والأختبارات التحصيلية التي تقيس تحصيل التلميذ في المجالات المختلفة التي تقدرها الجماعة، غير ان اعتمادنا على هاتين الوسيلتين وحدهما يجعلن نهمل فئة من الأطفال يمثلون طاقة بشرية يحتاج اليها المجتمع وهي فئة ذوي القدرة على التفكير الأبتكاري .